

المثاني

إهداء الكتاب

إلى والدي الكريمين رحمهما الله اللذين أورثاني فيما أورثاني حب الخير،
والخضوع للحق، والإبء على الباطل.

من وراء السنين أهدي كتابا
فيه من حكمة الحياة سطور
في مكان به القريب بعيدُ
وزمانٍ به القليل كثير

عبد الوهاب عزام

التصوف والسياسة

بقلم عباس محمود العقاد

كان أول ما قرأت من شعر الدكتور عزام ديوانًا لطيفًا جمع بين طائفة من مترجماته للشاعر المتصوف محمد إقبال الملقب بشاعر الإسلام، وطائفة من مبتكرات عزام في المعاني الصوفية أو المعاني الروحية، وتشابه النسق في الشعرين لأنهما في العربية من كلام ناظم واحد، وتشابه الجوان، ولا أقول تشابه المعنيان، حتى لقرأت مثنوية لعزام حسبتها من كلام إقبال، ولم أصحح هذا السهو إلا بعد مراجعة وتحقيق.

لا يتشابه الجوان الروحيان هذا التشابه لأن الدكتور عزام يعجب بإقبال ويترجم كلامه إلى العربية، فلا بد من سليقة صوفية في روح شاعرنا العربي توحى إليه معانيه وخواطره، ولا شك أن الأصح من القولين أن هذه السليقة الروحية في نفس عزام هي التي حبّبت إليه إقبالًا ومالت به إلى الإعجاب بشعره، فهذه السليقة هي مصدر الإعجاب بإقبال، وليس الإعجاب بإقبال مصدرها الأول ومبعثها الأصيل.

وعُدتُ أقرأ لعزام بعد ذلك الديوان اللطيف فلم يزل هذا خاطر يثبت عندي ويتمكن كلما قرأت له جديدًا من الشعر أو قديمًا فاتني أن أقرأه في حينه، ثم قرأت هذه المثاني وفي ذهني هذا خاطر فلم يزل يثبت كذلك ويتمكن كلما تتبعت أبياتها وموضوعاتها، حتى أكاد أنقل الديوان، أو معظمه، إذا أردت أن أسوق الشواهد على أصالة السليقة الصوفية في نفس الشاعر العالم الأديب.

المثاني

لا يحتاج أن يقتبس الصوفية من أحد من يلهمه ضوء القمر على صفحة البحر أن يقول:

أحسب البدر ساطعاً نبع ماء فأرجي لديه تطهير ذنبي
وأراه من الأشعة فيضاً أتمنى لديه تنوير قلبي

أو يقول:

ذلك الماء والأشعة طُهر وصفاءٌ يُخال نوراً وبحراً
إيه يا نفس فاطهري وأضيئي واشربنْ يا فؤاد صفواً وطهراً

فليس أشبه بفطرة المتصوف من تطهير النفس بجمال الكون ومن اتخاذ الجمال واسطة إلى الله.

ولا يحتاج أن يقتبس الصوفية من أحد من يفرق بين شريعة الباطن وشريعة الظاهر هذا التفريق:

قيل هذا محللٌ لا تدعه قلت هذا الحلال عندي أثم
هو في شرعة الفقيه حلال وهو في شرعة القلوب حرام

فهذا ميزان التصوف من قديم الزمن للفضائل الظاهرة والفضائل الخفية، وقصة موسى والخضر عليهما السلام خير مذكرٌ بهما من آي القرآن الكريم.

ومن أعماق التصوف أن تواجه النفس آفاق الأبد متحررة من حدود الأزمان كما قال الشاعر:

لا يبالي الأحرار في هذه الأر ض حدود البقاع والأوطان
ومن الناس من يحرر حتى لا ترى نفسُه حدود الزمان

أو كما قال:

فلك دائرٌ وصبحٌ ومُسيٌّ أخذ الناس في الزمان دُوار
حرر النفس من نهارٍ وليل تجد الدهر ما به تكرار

وإذا اقتبس الناقل في معاني التصوف فإنما يقتبس العبارة المتفرقة هنا وهناك ولا يقتبس السليقة التي تنظر إلى كل شيء بمنظار واحد فيما هو قريب وما هو بعيد من لباب الحقيقة الصوفية، وهذه السليقة هي التي أوحت إلى شاعر المثاني أن يجعل للصلاة وضوءاً من العفة إلى جانب الوضوء من الماء.

أسأل الظالم المصلي من ذا قد أحلَّ الصلاة للظُلَّام
أول الطهر للصلاة اغتسال يرحض النفس من حقوق الأنام

ولا أريد أن أنقل الديوان كله أو معظمه، كما أسلفت، في معرض الشواهد التي تبدي هذه النظرة في مختلف المنظورات، فسيراها القارئ غير معتمد على الشواهد، وسنزيد عليها فيما يلي شواهد أخرى في سياق غير هذا السياق.

يقول القارئ: عجب! أصوفي وسياسي؟ إن الدكتور عبد الوهاب عزام — كما يعلم القراء — سفير مصر الموفق عند دولة الباكستان، وهو من نَمَّ في زمرة أهل السياسة الذين مثلوا لأبناء عصرنا في مثال يقول القائل منهم ما يشاء، إلا أنه مثال الصوفية والمتطهرين.

وإنني لأرحب بهذه المناسبة لأنها أصلح المناسبات لتجلية النفس الإنسانية وتصحيح الموازين الأدبية والفكرية في معرض من أهم معارض البحث الحديث، وهو البحث في حدود الملكات ومصادر الأعمال والنيات، وهنا موضع الشواهد التي قلنا قبل سطور إنها تدل على السليقة لأنها تأتي — على قصد وعلى غير قصد — في نسق واحد حين ينظر الشاعر إلى جميع المنظورات، وسنورد فيما يلي بعض الشواهد على السليقة التي تربط بين التصوف وبين السياسة في أشرف معانيها، وإنها لأقرب شيء في هذه المعاني إلى مثال الصوفية والمتطهرين.

لا عجب في أن يجمع شاعر المثاني بين السليقة الصوفية وملكة السياسة؛ لأنه يدين بالصوفية التي دعت إلى الإعجاب بشعر إقبال، وما كان إقبال من متصوفة «الفناء» الذين

المثاني

يقولون «لا» حين يواجهون العالم أو يواجهون الوجود من ظاهره إلى خفيه، ولكنه كان من متصوفة «الثبوت» الذين يقولون «نعم نعم» لكل مظهر من مظاهر الحياة أو الوجود.

تصوف لا يهرب من غمرة الحياة؛ لأنه:

إنما يعرف التصوف في السو ق بمال ومطمع وفُتون

وتصوف لا ينكص عن المعالي، لأن المعالي إذا ملأت النفس أخرجت منها وساوس الشيطان:

املاً النفس بالمعالي وإلا ملأتها وساوس الشيطان

ومثل هذا التصوف والعمل في ميادين السياسة لا يتناقضان، ولا سيما تصوف «السفارة» وهو من الألف إلى الياء وئام وسلام. يقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

أمنح الناس مسمعي وحديثي وألاقي كلامهم بكلام
وسوى ذاك في الفؤاد حديث من وراء الأسماع والأفهام

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

قلت للنفس ساء ظني بالناس وشاھت وجوھم والسماتُ
قالت: اصقل مرآة نفسك وانظر رُبَّ وجه تُشوُّه المرآة

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

كم بهذا الأنام أحسنت ظناً فنهتني عواقب التجريب
ثم عاودت فيهم حسن ظني أملاً فيهم صلاح القلوب

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

إن في النفس بغضةً لأناس أصلحَنهم وحببَنهم إليَّ
واغسل الحقد والهوى من فؤادي واجعلني لكل حقٍّ وليًّا

وجماع ذلك كله قوله في ضبط النفس مفرقاً به بين الحر والعبد:

قيّد الحر نفسه برضاه وأبى في الحياة قيدَ سواه
وترى العبد راضياً كل قيد غير تقييد نفسه عن هواه

فهذه خصال تلتقي كلها في فضائل المصافاة والتغاضي وأخذ الناس بالحسنى وبسط المعاذير، مع ضبط النفس وتغليب الحكمة على الهوى في جميع الأحوال، وكلها من ملازمات الصوفية، وكلها كذلك من ألزم لوازم السفارة بين الأمم والأحاد. وأحسب القارئ يحيط الآن بما عنيناه حين قلنا إن المتصوف الناقل قد يقتبس من التصوف عبارة هنا وعبارة هناك ولا ينظر بالعين «المتصوفة» إلى جميع المنظورات على هذا المنوال، وبهذه السليقة يتلاقى المتصوف والسفير أحسن لقاء. على أن الشاعر السياسي كان سفيراً بين مصر والشرق بعلمه قبل أن يكون سفيراً لهما بعمله، وكان لدراسته الفارسية والأردية أثر في تقريب ثقافتهما يُحسب من سفارات الأدب التي تعاون فيها العلم والعمل، ومن هذا التقريب الذي لم يُسبق إليه: تعريفه قراء العربية بتاريخ الرباعية في الآداب الفارسية والعربية؛ فهو أوفى ما كُتِبَ بلغتنا في هذا الموضوع.

وستكون هذه المثاني صلة جديدة بين آدابنا وآداب الفرس والهنود، فإنها تجدد لنا القالب الذي أفرغت فيه طائفة مختارة من شعر هذه الأمم، وتريد عليها فضل النسبة العربية فيما استوحاه الشاعر العالم السياسي من سليقته وفطنته وخياله، وفقه الله للمزيد من هذه السفارة العليا، وأفاد بجهد المشكور أتم ما يفيد.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفضل الكاتب الألعبي الكبير، والشاعر المبدع القدير الأستاذ عباس محمود العقاد فكتب مشكوراً مقدمة لهذه المثاني. فأقصر أنا كلمتي هذه على تاريخ نظم هذه الأبيات وعلى تسميتها.

١

هذه أبيات نظمها مثاني في أوقات شتى. خطرت لي في الحضر والسفر، حتى في الطائرة، خطرت حين الفراغ وحين العمل، بالليل والنهار. نظمت الأولى منها فبدا لي أن أنظم أمثالها، وتوالت الخطرات وتوالى النظم. وكتبت ما نظمت فور نظمه أحياناً. وكثيراً ما نظمت في الطريق فحفظت ما نظمت حتى تيسرت كتابته.

ثم حرصت على أن أسجل وقت النظم ومكانه، ولكني لم أثبتهما مع الأبيات لئلا أعني القارئ بهما، إلا أن يكونا متصلين بالمعنى، يتضح بهما، أو يكمل معهما، أو كان في إثباتهما فائدة أخرى.

نظمت الخطرة الأولى على شاطئ بحر العرب من مدينة كراچي يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة (٢١ آب سنة ١٩٥٢م).

ونظمت آخرها وأنا أكتب هذه المقدمة، يوم الأحد ثامن عشر صفر ١٣٧٤هـ (١٧ تشرين الأول سنة ١٩٥٤).

المثاني

وإن توالي النظم من بعدُ على هذا النسق أُلْحِقَ ما أنظمه بأخواتها في الطبعة الثانية. ونشرتها كما نظمناها على ترتيب التاريخ ولم أجمع المتشابهات منها بالتقديم والتأخير، فَرُبَّ بيتين في معنى يَبْعُدَانِ مَكَانًا عن أبيات أخرى في معناهما، ويجاوران أبياتًا لها معانٍ بعيدة عنهما.

وكتبت عنوانًا لبعض المثاني توضيحًا لفكرة اشتملت عليها، أو جمعًا للمثاني التي تتوالى في معنى واحد أو التي يجمعها مكان واحد أو زمان من الأمكنة والأزمنة التي رأيت أن أثبتها مع الأبيات، جمعت هذه تحت عنوان واحد وبيَّنتُ تتابُعها بكتابة حرف ت بجانب أرقامها.

وأدع للقارئ تَبَيَّنَ ما في هذه المثاني من دعوة إلى الجلال والجمال، والخير والحق، والأمل المُشْرِق، والجد الدائب، والاستكبار على الدنيا، ولقاء الحوادث بَعْدَتِهَا من الإيمان والصبر، وما يتصل بهذه من معاني الحياة الكريمة.

٢

وسميتها المثاني

وكان بدا لي أن أسمى هذه الأبيات رباعيات، كاصطلاح أدباء الفرس في الأبيات الثنائية، وكما جرى العرف بين أدباء العرب في هذا العصر، ولكنني عدلت عن هذه التسمية بعد التأمل.

وإليك البيان:

(أ) الرباعي في الفارسية

عرف وزن الرباعي منذ عرف الشعر الفارسي الحديث، منذ أواخر القرن الثالث الهجري. ويقول شمس الدين محمد بن قيس الرازي مؤلف كتاب المعجم في معايير أشعار العجم — وهو أوسع وأقدم ما كتب في هذا الموضوع بالفارسية:^١

إن أحد متقدمي شعراء العجم — وأحسبه الرودكي^٢ — أخرج من بحر الهزج وزنًا مقبولًا تميل إليه الطباع السليمة فسمى الرباعي.

ثم يروي المؤلف قصة اختراع هذا الضرب من الوزن فيقول إن الشاعر الذي اخترعه كان يجول في متنزهات مدينة غزنة في يوم عيد فرأى جمعاً من الصبيان يلعبون بالجوز. وبينهم صبي مليح فصيح اتجهت إليه عيون النظارة، فرمى الصبي جوزة فلم تصب الحفرة وجاوزتها ثم رجعت تتدحرج حتى وقعت فيها فصاح الصبي:

غلتان غلتان همى رود تابن كو

(تدحرج تتدحرج زاهية إلى قعر الحفرة).

فأعجب الشاعر بهذه الجملة في هذا الصوت، وأدرك فيها وزناً جميلاً فقاسه على أوزان العروض حتى أخرجه من بحر الهزج، وضم إليه شطراً على قافيته وبيتاً على وزنه، فصارت الشطرات الأولى والثانية والرابعة متفقة في القافية، والثالثة مطلقة.

ثم يصف المؤلف شيوع هذا الوزن وفروعه، وافتتان الناس به إلى أن يقول:

وجرت العادة أن يسمى ما نظم بالعربية من هذا الوزن «قولاً» وما نظم بالفارسية غزلاً، وأهل العلم يسمون ملحونات^٢ هذا الوزن «ترانه» وغير الملحون «دوبيت» وسماه المستعربة «الرباعي». ١.هـ.

وظاهر أن هذا الضرب سمي رباعياً لأنه مؤلف من أربعة أشطر كما سمي «دوبيت» لأنه مؤلف من بيتين، ولكن مؤلف المعجم يقول إن المستعربة سَمَّوهُ رباعياً لأنه مؤلف من أربعة أبيات بحساب العروض العربي؛ لأن الهزج في العربية لا يزيد على مفاعيلن أربع مرات، وفي الفارسية كل شطر فيه أربع تفعيلات، فسأوى الشطر في الفارسية البيت في العربية.

ويوافق هذا ما في كتاب معيار الأشعار، وهو كتاب فارسي ألف سنة ٦٤٩هـ ولا يعرف مؤلفه، نقل عن هذا الكتاب الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله في كتابه عن الخيام:

المثاني

وقال القدماء على هذا (وزن الرباعي) شعراً كثيراً، وقَفُوا كل مصراع وعَدُوهُ بيتاً مثل الرجز المشطور ... ولهذا حسب القدماء الرباعي أربعة أبيات وسموه «جهار بيت» وسموه بالعربية «الرباعي» والتزموا التقفية في الأربعة. وأما المتأخرون فقد تركوا مربعات هذه الأوزان، وعدوا كل بيت منها مصراعاً وسموا الرباعي «دوبيت» ولم يشترطوا التقفية (يعني في كل شطر) ا.هـ.

ولعل مما يؤيد هذا أن الرباعيات العربية التي رواها الباخريزي مقفاة الأشطر كلها، ولكننا لا نسلم بقول صاحب معيار الأشعار إن القدماء التزموا تقفية كل مصراع؛ فقد أُثِرَتْ رباعيات عن الرودكي والعنصري وغيرهما من المتقدمين لم يُقَفَّ فيها الشطر الثالث.

ويمكن أن يقال إجمالاً: قد اتفق الشعراء المتقدمون والمتأخرون على وزن الرباعي، ومال المتقدمون إلى تقفية الشطور كلها ولم يلتزموه، ومال المتأخرون إلى إطلاق الشطر الثالث ولم يلتزموه أيضاً، واتفقوا على تسميته بالرباعي واختلفوا في تحليل التسمية أهي نسبة إلى أربعة أشطار أم أربعة أبيات.

وقد أخرج شعراء الفرس أربعة وعشرين ضرباً في وزن الرباعي نصفها من الهزج الأخرى، وهو يبتدئ بمفعول، ونصفها من الهزج الأخرى ويبتدئ بمفعولن. وهي في ظاهرها بعيدة من الهزج بما لحقها من الزحاف والعلة، ولكنها في اصطلاح العروضيين مأخوذة منه متصلة به.

(ب) الرباعي في العربية

يقول مؤلف المعجم:

ولم يكن الزحاف المستعمل في هذا الوزن معروفاً عند العرب فلم ينظم فيه القدماء شعراً عربياً، ولكن المطبوعين من المحدثين أقبلوا عليه اليوم كل الإقبال، وشاعت الرباعيات العربية في كل بلاد العرب.

ألف شمس الدين محمد بن قيس كتابه في أوائل القرن السابع الهجري. وعرفنا أن الرباعيات العربية كانت شائعة في عصره في كل البلاد العربية.

وهذا كلام مؤلف آخر أقدم منه هو علي بن الحسن الباخري مؤلف «دُمية القصر» المتوفى سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة، يقول في ترجمة أحمد بن الحسين الخطيب من شعراء عصره وهو من أصحاب اللسانين (العربي والفارسي):

ولم يبلغني من شعره إلا قطع نظمها على وزن الرباعي مثل قوله:

قد هاض فراقه فقاري والله واستهلك هجره قراري والله
أُذري الدّم ليلي ونهاري والله لم يُغنٍ من الهوى حذاري والله

وقوله:

أبلى جسدي هوى ظلوم جاني قد هجّن قدّه قضيب البان
يا من أضحى وما له من ثاني ما ضرك لو فككت هذا العاني

ولم أكن سمعت هذه الطريقة حتى أنشدني والدي لأبي العبار الباخري رباعيات على هذا النمط منها قوله:

قد صيّرنى الهوى أسير الذلّة واستنهنكى وما بجسمي علة
واستأصل هجره بصبري كله لا حول ولا قوة إلا بالله

إلى أخوات لها من مقاله.

ثم نسج والدي على منواله فنظم منها أعدادًا كثيرة على وزنه فمناها قوله:

أعطيتك يا بدرُ عنان القلب لا زلت أرى هواك شان القلب
لو لم يكن الصدر صوان القلب أنزلتك والله مكان القلب

وقلت أنا:

قد ملّ هواي فافترشت الملّة خلّ بوصاله يسد الخلّة
أدمى كبدي بسيف هجر سلّة ما أجوره عليّ سبحان الله

المثاني

انتهى كلام البخارزي.

ويؤخذ منه:

(١) أن الرباعيات لم تَشَعْ في العربية حتى زمن البخارزي فلم يسمع بها حتى أنشده والده بعضها.

(٢) وأن الرباعيات العربية على وزن الفارسية.

(٣) وأن التقفية في رباعيات العرب تنتظم الشطور الأربعة مع أن الفارسية تلتزم فيها التقفية بين أشطر ثلاثة، والشطر الباقي وهو الثالث منها، يجوز إطلاقه وتقفيته.

(٤) وأن ناظمي الرباعيات العربية استعملوا القافية المردوفة أحياناً، وهي التي تكرر فيها كلمة بعينها، وتراعي التقفية قبلها.

كما في الرباعية:

قد هاض فراقه فقاري والله

... إلخ.

والرباعية:

أعطيتك يا بدر عنان القلب

... إلخ.

وهذا النوع من التقفية شائع في الشعر الفارسي أوزانه كلها، ويظهر أن الرباعيات العربية كانت قليلة وحديثة عهد بالنشوء أيام البخارزي ثم شاعت من بعد. حتى عمت البلاد العربية كما قال صاحب المعجم.

يتبين مما قدمت أن الرباعيات في الفارسية والعربية لها وزن يخصها، ونظام في القافية يميّزها؛ فليس كل ما نظم بيتين بيتين يعد رباعياً.

لهذا رأيت ألا أسمى أبياتي هذه رباعيات، إبقاء على الاصطلاح المتبع في الأدبين العربي والفارسي، وسميتها المثاني إذ كانت الأبيات فيها مثنى مثنى.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

مقدمة

وحسبي فخراً، وحسب هذه الأبيات صيتاً، أن تسمى سمّة مأخوذة من القرآن.
وإني لشاكر لدار المعارف عنايتها بإخراج هذه المثاني في صورة من الجمال
والإتقان اللذين عُرفا في كل أعمالها.
والحمد لله الملهم. وهو حسبي وكفى. ا.هـ.

كراچي الأحد ثامن عشر صفر سنة ١٣٧٤هـ

١٧ تشرين الأول ١٩٥٤م

عبد الوهاب عزام

هوامش

- (١) كتب في أوائل القرن السابع الهجري، وللمؤلف كتاب آخر اسمه المعرب في معايير أشعار العرب لا يوجد اليوم.
- (٢) أبو جعفر الرودكي السمرقندي أقدم شعراء الفرس الكبار.
- (٣) ما لحن للغناء.

المثاني

١

أيها البحر^١

زأخرُ ثائرٌ نهارًا وليلاً
هل خلا من هديرك الدهر يوماً
أيها البحر ما هياج البحور؟
أو سيخلو على مرور الدهور؟

٢

ترفع الشمس عن جمالك سترًا
ويصون الجمال ستر الظلام^٢
يقراً الناس من جمالك سطرًا
من حروف الإصباح والإظلام

٣

تختفي كالنجم في الدَّجْنِ اختفى
أنت في غيب وومض ظاهرٌ
ثم تبدو ومض برق للفؤاد^٣
ذان للعين بياض وسواد

المثاني

٤

إنما التوحيد إيجاب وسلب
لا وإلا قوة قاهرة
فيهما للنفس عزم ومضاء
فهما في القلب قطبا الكهرباء^٤

٥

يشغل العين والجوارح سيرى
وتثور الذكري كقدحة زند
ولظى النار في الفؤاد كمين
فإذا القلب لاعج وشجون

٦

ينبع الدمع في شئوني حيناً
وأراه يجيش في العين حيناً^٥
وله في الفؤاد نبع جلي
وله في الغيوب نبع خفي^٦

٧

إن يكن في الكلام صدق وكذب
فعلى الصدق في العيون دليل
ولدى القلب سره المكنون
وعلى الوجه شاهد لا يمين^٦

المثاني

٨

أمنح الناس مسمعي وحديثي وألاقي كلامهم بكلام
وسوى ذاك في الفؤاد حديث من وراء الأسماع والأفهام

٩

ينبع الشعر والشواغل شتى كانبجاس المياه بين الرمال
تبصر الماء صافيًا لست تدري كم فيافٍ سرى بها وجبال^٧

١٠

الوجدان

عقباتُ تفل كل شباة وزماعٌ يذلل العقبات
نحن لولا الوجدان يهدي ويحدو قهرتنا الأهوالُ في الطُرقات

١١ ت

كلما أظلم الطريق وأعيا وتناجت بيأسها الركبانُ
أبصر الركب للمنازل نارًا وهداهم إلى الديار أذان

المثاني

١٢

في نور القمر

أحسب البدر ساطعاً نبع ماء فأرجي لديه تطهير ذنبي
وأراه من الأشعة فيضاً أتمنى لديه تنوير قلبي

١٣

الإباء

قد عبرنا حدائق الحسن في الأر ض ترينا الثمار كلَّ شهياً
وكبرنا عن أن نُسفَّ إليها فمضينا كطائر وحشي

١٤

بين الحسن والقلب

يطبع الحسن شكله في فؤادي ولقلبي على الجمال انطباع
بين نفسي والحسن أخذُ ورد مثل ما غازل المرايا شعاع^٩

١٥

قال لي صاحب: أراك غريباً بين هذا الأنام دون خليل
قلت: كلا بل الأنام غريبٌ أنا في عالمي وهذي سبيلي^٩

المثاني

١٦

قد تهاوى إلى الحضيض أناس وخزوا حين حوسبوا بالظواهر
ليت شعري فما يكون أناس؟ ما يكونون يوم تبلى السرائر؟^{١٠}

١٧

قلت للصقر وهو في الجو عالٍ: اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر: في جناحي وعزمي وعنان السماء مرعى خصيب

١٨

في بحار الأيام موج وريح واصطخاب الأمواج، والضوضاء
تحت هذا الضجيج في القاع تتوي لأولي العزم درة بيضاء

١٩

قلت لليل: كم بصدرك سر أَنْبَيْتِي ما أروع الأسرار؟
قال: ما ضاء في ظلامي سر كدموع المنيب في الأسحار

المثاني

٢٠

أيها الليل أَسْبِلْنِ كل ستر
فرقتني ضوضاء صوت وضوء
عَلَّنِي في حماك أخلو بنفسي
فاجمعن بالظلام والصمت حسي

٢١

أنا وحدي، قليل ماء وطين
وأراني بك السموات والأر
تائه في زمانه حيران
ض وكوناً يتيه فيه الزمان

٢٢

صاح ما اللحن شاجياً ما الغناء؟
اتساق ووحدرة وائتلاف
ما الوغى ما الضجيج ما الضوضاء؟
أو نفار وفرقة وعداء

٢٣

إنما النفس وحدها نزعاتُ
وهي بالحق شرعة ونظام
شارداتٌ تضل فيها الحدود
وهي بالله عالم وخلود

المثاني

٢٤

على ساحل بحر العرب في الليل

ذاك بحر تضيء فيه سفين تحت بحر من الكواكب حالي
نحن بين البحرين أرباب عزم نبتغي الشهب منهما واللاكي

٢٥ ت

في فؤادي بحران، ملُحٌ وعذب وبه صرصر وريح رُخاء
فهو مُرٌّ على البغاة عصف وهو عذب لصاحبي وصفاء

٢٦

يرتقي الفكر في العوالم حتى يبلغ العالم الفسيح الرهيبا
ثم يعيا بما يراه فيهوي يبتغي الأرض والمراد القريبا

٢٧

البحر في نور القمر

ذلك الماء والأشعة طهر وصفاء يخال نورًا وبحرًا
إيه يا نفس! فاطهري وأضيئي واشربنْ يا فؤاد صفوًا وطهرا

المثاني

٢٨

الوجدان

قالت النفس: لا تسل لست أدري في خِصَمِّ الحياة ما مقصودي
غير أنني أرى شرعاً وريحاً ومنازراً يلوح لي من بعيد

٢٩

لا يبالي الأخير في هذه الأر ض بباغٍ ومفتّرٍ وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقاً بين هذي الأفات شطر الخلود

٣٠

كم سمعنا وكم رأينا عجبياً: في أناس طبيعة الحرباء
فهم يبدلون لوناً بلون في عُذُوٍّ وضحوة ومساء

٣١

لا تُرَجِّ الثواب عند عباد خاب من يرتجي ثواب العباد
كم يلاقون بالإساءة إحسا ناً وبالكفر ما لقوا من أيادي

المثاني

٣٢

لا يعادي الإنسان كلبًا عقورًا لا ولا يستحي إذا فر منه
كم عقورٍ من الأناسي فاحذر ه ولا تَحْزَنَّ حين تجبن عنه

٣٣

في نور القمر بعد هدأة الليل

قالت: النفس كم تؤرق عينًا قد حماك المنام في الليل نور
قلت: لا تعجلي لنوم ظلام إن هذا الجمال نوم منير

٣٤ ت

قطر الدمع في شعاع من النو ر وجاش الحنين بين الضلوع
قلت: هذي الدموع ذوب ضياء أم ترى النور من شعاع دموعي؟

٣٥ ت

في فضاء الضياء تسبح عيني فيجِدُّ اليراع في التسطير
من عنان السماء وحيُّ يرأعى ومدادي من الشعاع المنير

المثاني

٣٦

على ذكر المطالبة بدرجات مالية

علماء الزمان في درجات ١١ لا من العلم بل من الأموال
أترى هذه الوظائف أئماً نأ بها قُومَت نفوس الرجال؟

٣٧

كلمات بقين لي من صديق من دموع تجمعت وشجون
لهف نفسي! يبقى الحنين على الطرّس وتفنى الصدور ذات الحنين!

٣٨

قد نثرت البيان نثر اللآلي ونظمت البيان نظمَ فريد
فرنت أعينٌ وغصّت عيون ما احتيالي لجاهل وحسود؟

٣٩

قيل لي: كم ترى عمّرت سنيناً قلت: عمّرت أعصرًا لا تعد
أنا منذ الأزال في الدهر ماضٍ وإلى الأباد سيرتي، لا أُحدُّ

المثاني

٤٠

إنما الخير ألفة واتصال بينما الشر نفرة وشقاق
في جذاب وفي اتصال ونظم تستمر النفوس والآفاق^{١٢}

٤١

في جهاد الحياة ربح وخسر وصروف ما بين سعد ونحس
والسعيد السعيد من قال حقًا: «صنت نفسي عما يدنس نفسي»^{١٣}

٤٢

على ساحل بحر العرب

أيها البحر كم محوتَ خطوطًا وشكولًا ما بين مدٍّ وجزرٍ
أكذاك الزمان مدًّا وجزر غاسل من كتابنا كلَّ سطرٍ؟

٤٣ ت

هل لهذا الضجيج يومًا سكونٌ أو بهذا النشيد تَفنَى لحون
كم تخطُّ الرياح فيك سطورًا ألهذا الكتاب حَتَمَ يَحِين؟



ت ٤٤

ما إخال الهياج في غير شيء ما إخال الضلوع منك خَلِيَّةُ
إن هذا هيام وجد فقل لي أي وجد حباك رب البرِيَّةُ

ت ٤٥

قلت: ماذا الهيام في شهوات؟ قيل: هذي حياتنا في الصميم

المثاني

قلت: زيدوا حياة عقل وروح — إن صدقتم — إلى حياة الجسم^{١٤}

٤٦

قبيلتان

بجريح الذئاب تسطو الذئاب وضعيفَ الكلاب تغزو الكلاب^{١٥}
فإذا حارب الضعيف قوي فله في القبيلتين انتساب

٤٧

لا فراغ في النفس

املأن بالتوحيد قلباً وإلا ملأته معابد الأوثان
واشغل النفس بالمعالي وإلا شغلتها وساوس الشيطان

٤٨

لذة الإباء

قيل: يا غرُّ مَوْرِدُ ومَرَادُ لا تُحَلِّئُكَ هذه الخِيَلَاءُ^{١٦}
قلت: إنني أرى اللذائة لكن خير ما لذه الكريم الإباء

شريعة القلوب

قيل هذا محلل لا تدعه قلت: هذا الحلال عندي أثم
هو في شرعة الفقيه حلال وهو في شرعة القلوب حرام

٥٠

صلة اللحن بالرموز أراها بين شعري وبين ورد الربيع
لحن هذه الورود ترجيع شعري وهي منه رموز لحن بديع^{١٧}

٥١

لي حيناً مع الجليس حديثٌ وإذا ما خلوت حدثت نفسي
فحديث الجليس ظن وحده وحديث النفوس تصحيح حدسي

٥٢

دوحة تسكنها الطير في مدينة

دوحة في الديار أسمع منها كل ليل تشاكي الأطيّار:
نغصّ الفطرة الأناس علينا بين هذه الضوضاء والأنوار

المثاني

٥٣

قال نسر مخلق لأخيه: أي سرف في خلقه الإنسان
ملاً البر والبحار فساداً ثم وافى مدمراً في العنان

٥٤

بُعد الزمان والمكان

قد تناءى عن الديار مكاني ثم زاد البعاد مر الزمان
غير أن الفؤاد فيها مقيم ما نأى بالزمان أو بالمكان

٥٥

كل يوم يجتاب ثوباً جديداً ما له عن تحول من مناص
مخلص في الكلام والفعل لكن كل يوم مبدل الإخلاص!

٥٦

على البحر بعد الغروب

أنا وحدي ضعيف حول وطول عاجز معدم كلييل جبان
وأنا منك في غنى واقتدار وشجاع تهابه الشجعان

المثاني

٥٧

قلت: للنجم كم عددت من العمـ ر وكم سرت في حساب الزمان
قال لي النجم سائرًا في ابتسام: أنا فوق الزمان والحسبان

٥٨

رسائل أصدقاء

زهرات قُطفنَ منذ سنيننا ناضرات على الزمان بقينا
لم تزدها الأيام إلا ازدهارًا وغصون قطفن منها بلينا^{١٨}

٥٩ ت

ذلك الخط ناضر كالزهور لم يغير شذاه مر الدهور
يملأ الأذن والفؤاد حديثًا أين أين الصديق رب السطور

٦٠

هلال صفر سنة ١٣٧٣هـ

يا هلالاً على الأنام مطلاً كم جلتك الشهور والأعوام
غرة في جبين أدهم طرف ما له الدهر وقفة أو جمام

المثاني

٦١

يفضح الناس حين يكشف ستر عن عيوب وخلفه أستار
كيف لو تكشف القلوب عن الخبْ ءِ وتبلى الغيوب والأسرار؟

٦٢

أدّعي الطهر في فعالي وقولي وأباهي بذاك في كل نادي
لهف نفسي! من لي بتطهير نفس دنست بالظنون والأحقاد

٦٣

قلت: للنفس ساء ظني بالنا س وشاهت وجوههم والسمات
قالت: اصقل مرآة نفسك وانظر رُبَّ وجهٍ تشوّه المرآة

٦٤

الوجدان

كلما حارت الطريق سمعنا صوت هادٍ مُنَوِّبٍ في المَومِي
كلما أطبق الظلام رأينا خفقة البرق في حنايا الظلام

المثاني

٦٥ ت

راكب البحر في الظلام هدته إبر في السفين للقطب تهدي
أيها الخابط الحياة تذكّر إبرة في الضلوع تهدي لقصد^{١٩}

٦٦

الغنى والفقير

كم غنيّ إلى العباد فقير يجمع المال ذلة في فؤاده
وفقير عن العباد غني يخضع المال صاغراً لمراده

٦٧

أسرع الدهر في التقلب حتى تعبت في حسابه الأفكار
وتدور الأيام بالناس حتى يدرك الناس في مداها الدُور

٦٨

ينكر الفضل حاسد وجهول وغوي إلى هواه يميل
أكثر الناس يُخذل الحق فيهم ناصر الحق في الأنام قليل

المثاني

٦٩

زهرات ٢٠

ما الذي أحكم التشاكل فيها وحبابها بدائع التلوين؟
ما الذي أفرغ الجمال عليها وجلاها عرائسًا في العيون

٧٠ ت

زهرات بسمن للصبح سكرى بعدما حاطها الظلام بستر
أي عين رعتك في جنح ليل؟ أي كف جلتك في نور فجر

٧١ ت

زهرات من لَوْن ليل وصبح ونجومٍ ومغربٍ وشروقٍ
أي عين تَوَلَّف الحسنَ فيها؟ أي كف تهيم بالتزويق؟

٧٢ ت

زهرات تَفَتَّحَتْ كعيون حدّقت أو تخالها أذن سامعٍ
أي حسن هذي العيون رأته؟ أي شِعْرٍ وَعَتَّه هذي المسامع؟

المثاني

٧٣ ت

يا زهورًا منيرة باسماتِ سامعاتٍ مبينةً ناظراتِ
كل معنى وكل لون لديها من معانٍ تألفت أم شياتٍ؟^{٢١}

٧٤

منع اليأس والتبلىد علمي أن بعد الظلام صباحًا منيرًا
ومع العسر يسره، ومع الحز ن سرورًا وللزمان كرورًا

٧٥

التصوف في الأسواق

ليس شيئًا تصوّف من تقِيٍّ فر من غمرة الحياة بدين
إنما يعرف التصوف في السو ق بمال ومطمع وفتون

٧٦

الموسيقى

تعلن الصوت من ضمير الغيوب وتلاقي الحجي بلغز عجيب
أدوات بدون صمًا وبكمًا كيف وافى بهن صوت الحبيب^{٢٢}

المثاني

٧٧ ت

ليت شعري رنين أوتار عود أم أنين بصدرة المحزون؟
ليت شعري بصدر عود أنين أم بصدر حنا عليه حنون^{٢٣}

٧٨

شعري

من حفيف النسيم والأشجار وتناجي الغصون والأطيار
وخفوق من القلوب خفي صاغ قلبي بدائع الأشعار

٧٩ ت

من زهور الرياض أنسج شعري ومن الشعر أشعل الأزهارا^{٢٤}
إن زهر الرياض ألوان نبت بعثتها أنفاس شعري شرارا

٨٠

أي سر وعته نفسي فهامت وطوته بين الضلوع غيوب
ملء سمعي وملء قلبي حديث وعن الفكر سره محجوب

المثاني

٨١

توكل الطير

قلت للطائر المبكر مهلاً مسرح الطائر حاطه ألف شر
قال لكن غدوت في كل يوم ثم قد رحتم لم أمسَّ بضراً^{٢٥}

٨٢ ت

قلت للطير لا أرى لك رزقاً في خفوق ما بين غرب وشرق
قالت الطير: يا جهول غدونا كل يوم فما عيينا برزق

٨٣

أبكت تلکم الحمامة أم غنت

قلت للطائر المرجع: نوح أم غناء؟ لقد تحير فكري
قال: أنصت ما بين ماء وزهر لغنائي، ودع كلام المعري^{٢٦}

٨٤

قلت للبلبل المغرد مهلاً أي وزن تخذته للقريض؟
قال لا تلتمس لشدوي قيوداً إن شعري محرر من عروض



٨٥

الشعر

قال لي صاحب: سكت طويلاً
قلت: بالأمس كان شعري سكوتاً
ثم أبدعت هذه الزهرات
ثم فاض السكوت في كلمات^{٣٧}

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

ما الذي حمّل الطيور عناء لتُقيت الفراخ في الأوكار؟
تجمع القوت ما بين خوف وكدح ثم تحشوه في بطون الصغار

٨٧ ت

ما الذي علم السوايح في البحـ ر سفارًا إلى قَصِيّ البحار
تضع السـرء في مهاء دفيء وتُغذُّ الإياب شطر الديار^{٢٨}

٨٨

في جوف الليل

فاض وحي من الدموع بعيني هو سر حواه صدر الظلام
من وراء الزمان نبع خفي يرفد العين بالدموع الهوامي

٨٩ ت

قطرات من الدموع أضاءت في خيالي وفي ضمير الظلام
شرر الذكريات أورته زند من وراء الخطوب والأيام

المثاني

٩٠

أنا سر حواه صدر الليالي وبصدري أسرارها وببالي
ووراء الأسرار سر خفي كل عنه تفكري وخيالي

٩١

حجرة ملؤها الظلام حوتني وحوتها أشعة القمراء
رب نفس تلفها ظلمات وهي في عالم كثير الضياء

٩٢

أجد القلب كالفراش محباً كل نار، ولا يهاب لهيباً
ثم ألفيه طائرًا في الفيافي يهجر الأهل والديار غريباً

٩٣

كم أطافت بحرّ وجهي عيون ثم عادت وسره مكنون
زجروا طائر الجوارح لكن ما هدتهم إلى الفؤاد ظنون

المثاني

٩٤

الشعر

قد تركت القريض حيناً ولكن كان في روضه لقلبي هيام
أيسر الشعر ما وعاه بيان رب شعر يرتاع منه الكلام

٩٥

الشوك والورد

قلت للشوك، وهو يدمي بناني آفة أنت في الجمال البديع
قال لي الشوك ضاحكاً: لست تدري أنا كالورد، من جمال الربيع

٩٦ ت

أي كف في الروض تحسن صنعاً وتُجَلِّي فنونها للعيان
ليس حظ الأشواك والعشب منها دون حظ الزهور والأغصان

٩٧

من أحل الصلاة للظلام

اسأل الظالم المُصَلِّي من ذا قد أحل الصلاة للظلام!
أول الطهر للصلاة اغتسال يرخص النفس من حقوق الأنام

المثاني

ت ٩٨

طائف البيت محرماً في خشوع خالغاً للطواف كل مخيط!
طُهِرْنَ للطواف قلباً وكفّاً ولساناً من كل إثم محيط^{٢٩}

ت ٩٩

صائم الدهر صم وأفطر ولكن أدم الصوم عن حقوق العباد
هل يصح الصيام والبطن ماض في التهام القلوب والأكباد^{٣٠}

١٠٠

نحن ندري لذاذة العيش طراً ونحب الجمال ملء القلوب
غير أننا نعاف كل قبيح ونريد الجمال غير مشوب

١٠١

على الشاطئ حين الغروب

قلت للشمس: كم طلعت على الدهر بر وكم غبت في حجاب الغروب؟
قالت الشمس: ما طلعت وما غب ت فأنتم لمطلع ومغيب^{٣١}

المثاني

١٠٢

اسْعَ وَأْمُلْ مَذَلًّا كُلَّ صَعْبٍ واهجرن قولة الحكيم البصير: ٣٢
«ما الذي نستفيد في هذه الدنـ يا بطول الرواح والتبكير؟»

١٠٣

أيها العاكف المسبح! سبح في عراك الحياة بالآفاق
مثلما كبر الأوائل منا ووميض السيوف في الأعناق

١٠٤

يأخذ الناس بالظنون إذا ما وافقت منهم هوى في الصدور
ويمارون في الحقائق إما كذبت فيهم أمانى زور

١٠٥

فراش وزهر^{٣٣}

صاح! هذا الفراش زهر يطير أم فراش يقر هذي الطيور
عل هذا الفراش أحلام زهر أو أمانى أرسلتها الصدور

المثاني

١٠٦ ت

صنع الماء للزهور مرايا وعلى الزهر للفراش زهور
أي هذي الفراش بل أيها الزهـ سر؟ وأي خيالها المنظور؟

١٠٧ ت

أيها الزهرة الجميلة ماذا قد أسرَّتْ فراشة في الخطاب؟
ولماذا تطير عنك لأخرى ثم تهفو إليك رجع الجواب؟

١٠٨ ت

أزهور تطير في الأضواء أم فراش يريد ورد الماء
حارت العين في فراش وزهر بين ماء وخضرة وضياء

١٠٩ ت

ما رأيت الفراش والزهـ إلا صغت منها بدائع الأشعار
صور في الحياة راقت ودقت فهي توحى دقائق الأفكار

المثاني

١١٠

في حفل للمولد النبوي^{٣٤}

قد سمعنا من القصيد ثناء وعلى الدف والطبول غناء
كل هذا على سنك غبار حجبوا بالضجيج ذاك الضياء

١١١ ت

غلب الوجد مادحيك فصاحوا وتعالى زفيرهم والأنين
ونظرنا إلى سنك حيارى يعلن الصمت وجدنا والسكون

١١٢

ليس بالصعب أن تكبر والأصـ نـام صرعى وللاذنان دوي
إنما الصعب أن تكبر والأصـ نـام ترعى وأمرها مأتي

١١٣

صاح ما الحر من يثور على الظلـ مـ وقد ثارت لحقها الأقوام
إنما الحر من يسير إلى الظلـ مـ فيصميه والأنام نيام

المثاني

١١٤

الحياة

ناب ليث محدد للصيال وَلِعَدُو تَعَدُّ رَجُلَ الْغَزَالِ
في صيال وفي فرار حياة لظباء الفلاة والرئبال

١١٥

قد تأملت في وجوه حسان وَقَبَاحِ، فِي الْوَحْشِ وَالْإِنْسَانِ
صور الوحش والأنيس حروف حَدِثْتَنِي بِمَا حَوَتْ مِنْ مَعَانِ

١١٦

زهر مصنوع^{٣٥}

زهرات يرقن لوناً وشكلاً تَمَلَأُ الْعَيْنَ نَضْرَةً مِنْ بَعِيدِ
أخذتها يداي لوناً مواتاً إِنْ حَبَلَ الْخَدَاعَ غَيْرَ مَدِيدِ

١١٧ ت

إن في الناس أوجهًا لامعات تَمَلَأُ الْعَيْنَ زَهْرَةً وَرَوَاءِ
ويراها البصير صورة زهر لَمْ تَهْبِهَا الْحَيَاةَ عَطْرًا وَمَاءِ

المثاني

١١٨ ت

صور الزهر ما لها من ذبول هي أبقى من ناضرات الزهور؟
ساعة في الحياة خير وأبقى من ممات يدوم كر الدهور

١١٩

شر القبور النسيان^{٣٦}

عن ضريحين قد سألت كثيرًا ما درى من ثواهما الجيران
قلت: كل إلى ممات ولكن شر قبر نحلُّه النسيان

١٢٠ ت

رب قبر مشيد ليس يُدرى أي ميت يطول فيه سباته
وضريح من الخلود لثاؤ ليس يدري الزمان أين رفاته

١٢١

مُلك السماء والأرض

قد سمونا على الدنيا جميعًا وعرفنا الحياة طهرًا وبرًا
قيل: ماذا أفاد طهر وبر؟ قلت: ملك السماء والأرض طرًا

المثاني

١٢٢

إيه يا نفس لا تطيلي كلامًا وأسألي الله رحمة للعباد
ذا زمان من الفتون وفيه نصره الحق مثل خرط القتاد

١٢٣

إن دنياك من نهار وليل وهي في ذاك صفحة ومداد
فاملأنها الجميل والخير واكتب أسطرًا يستضيء منها العباد^{٣٧}

١٢٤

إن في الناس نقطة في محيط أو هم مركز عليه المدار
فاتبتن والزمان بالناس ماض والزم القطب لا يصبك الدوار

١٢٥

دعاء

بصرني إذا حواني ضياء وأنر لي إذا حواني ظلام
واجعل الحق قبلتي وإمامي ما لقلبي إلى سواه هيام

المثاني

١٢٦

في سفينة إلى البحرين

في خضم الحياة نزجي سفيناً ريحنا العزم والمنار الرجاء
تارة ظلمة وموج وحيناً لجة سمحة وريح رُخاء

١٢٧ ت

مطلع الشمس قد شهدت من البحـ ر وفي البحر كان منها الغروب
أي بحر يا نفس أشرقت منه؟ أي بحر يا نفس فيه المغيب؟

١٢٨ ت

ظلمات ولجة وزماع ولقصد السبيل تجري السفين
هكذا نحن في الحياة، هداًنا خافق ملهم وعقل مبين^{٣٨}

١٢٩

من حافظ الشيرازي

لا تقل لي دع الغناء وأقصر لا تؤمل في المرج صمت الطيور
أي صحو وفي هواك حديثي؟ أي صبر وفي اقتفالك مسيري؟^{٣٩}

المثاني

١٣٠ ت

إن هذي الحياة سير دوام ولنا فوق سيرها تسيار
ثم للفكر والرجاء مسير بعد هذين، عمرنا أسفار^{٤٠}

١٣١ ت

قيل: فيم المسير؟ أين المصير؟ قلت: قصد الحياة هذا المسير
لا تَرْمُ غاية ولا ترج نُزْلاً وانظر النجم في الجبك يسير

١٣٢ ت

أفرخ الطير في الدُّجْنَةَ باتت تسأل الريح أمها وأباها^{٤١}
ومضت ليلة ومر نهار أي لاه من الرماة رماها؟^{٤٢}

١٣٣

حياة الإنسان بالأعمال

لا تلتفت إلى قديمك إلا لتعد الأمور لاستقبال
لا تعد الأعمار عامًا وشهرًا فحياة الإنسان بالأعمال

المثاني

١٣٤

قيل ذا مَنْصِبٌ لغير ثبات فاتركنهُ لمنصِبِ ذي ثبات
قلت: ما ذي الحياة أثبتُ منه إنه ثابت بقدر الحياة

١٣٥

غرّة الشمس في الصباح أراها طُغراء لصفحة في الزمان
فاملأنها بلاغةً وجمالاً وتجنّب بها خسيس المعاني

١٣٦

لذة الروح

إن للروح لذة فاطلبوها هي لا تنتهي وليست تُحدُّ
أشعروا النشء لذة الروح يصعد بهم للسماء عزم وجدُّ

١٣٧

هل الإنسان قرد

قال قرد لجده: قد سمعنا أن منا سلالة الإنسان
قال: كلا والله! ما كان منا مهلك الحي مُخربُ العمران

المثاني

١٣٨

كم بهذا الأنام أحسنت ظناً
ثم عاودت فيهم حسن ظني
فنهتني عواقب التجريب
أملاً فيهم صلاح القلوب!

١٣٩

سوف تبدي الأيام ما خبأته
غير أن اللبيب يعرف منها
وتجلى لمخطئ ومصيب
ما أكنته من وراء الغيوب

١٤٠

إن في الناس أوجهًا صادقات
ومن الناس من يسر كتابًا
هي مرآة ما تُكنُّ القلوب
وعليه العنوان وجه كذوب

١٤١

صورة الليث

ليس ليث الأفضاص ليثًا ولكن
إنما الليث وثبة وانطلاق
صورة الليث دون قلب وروح
وزئير على مهامه فيح

المثاني

١٤٢

طائر في قفص

تحبس الصوت والجناح ظلومًا قائلًا: ذاك طائر غريد
إنما الطائر الذي يملأ الجو طليقًا جناحه والنشيد

١٤٣

يوزن الوعاء لما فيه

لا تقاس الأوقات باليوم والسا ع ولكن بصالح الأعمال^{٤٣}
إنما يوزن الوعاء لما فيه فدع عنك وزنه وهو خالي

١٤٤

حساب الفراغ

شر ما يقتل الزمان فراغ تتساوى به «ظروف الزمان»
إن عشرًا من السنين تساوي في حساب الفراغ عشر ثواني

١٤٥

تسفل النفس بالصغائر حينًا وتضيق الحدود والآماد
فأحل القيود عنها فتسمو فإذا بي الآزال والآباد



١٤٦

الشمس والذرة

هذه الذرة الخفية فيها
وذكاء التي تضيء علينا
عالم من صنيعك المستور
نقطة من كتابك المنشور

المثاني

١٤٧

إنما النور والظلام بياض ومداد لقارئ ذي بصيرة
رُبَّ سطر من السواد تراه أعين القارئ شمساً منيرة

١٤٨

امض في الحق جاهداً لا تبالي مستقيماً على الصراط السوي
لا تزلزلك صيحة من جهول أو حسود، أو دعوة من غوي

١٤٩

سر هذه الحياة جذب ودفن وكفاح، لخيفة أو رجاء
وهو في الفعل سادر لا يبالي بصحيح الفعال أو بالسقيم

١٥٢

تاجر العلوم

يملاً الكتب حكمة وعلومًا هو منها بمعزل في الصميم
لست والله عالماً أو حكيماً إنما أنت تاجر في العلوم

المثاني

١٥٣

أي سر يفشي النسيم صباحًا فيميل الحنين بالأشجار
هل لنجوى النسيم والغصن لحن قد وعاه مغرد الأطييار؟

١٥٤

قيل: هذي الشهور مرت سراعًا هكذا هكذا مرور الليالي
قلت: هذي السفين مرت خفأفًا أثقلوها بصالح الأعمال

١٥٥

يثقل العيش والزمان بنفسي مرهقًا بالقيود والأعباء
ثم تأتي ذاكراك خطفة برق فإذا بي محلق في السماء

١٥٦

ذلك الجسم من عظام ولحم من هواه وعمره في حدود
مسه منك نفحة أو شعاع فتعالى يطير شطر الخلود

المثاني

١٥٧

قلت للطائر المغرد: مهلاً قد أطرت النعاس عن أجفاني^{٤٤}
قال لي: همك النعاس فدعني لشرار يطير في ألحاني

١٥٨

وقت السحر

كيف يخلو المنيب لاستغفار حين يغفو العباد بالأسحار
وتعالى التسبيح من كل شيء ورمته النجوم بالأنظار^{٤٥}

١٥٩ ت

سكن الكون والظلام ولكن ملء نفسي من المعاني عجيج
في سكون الظلام تبدو رموز كرموز الألحان فيها ضجيج^{٤٦}

١٦٠

كمثل الحمار يحمل أسفارًا

تطلب العلم جامع الأسفار ما لها في الفؤاد من إسفار
أَوْعِيَتْ الأسفار في الصدر حفظًا أم حملت الأسفار فوق حمار؟

المثاني

١٦١

على شاطئ البحر

قهقهه البحر إذ خطرت على الشط ضئيلًا، أتيه في تخطاري
أيها البحر رب بحر تراءى في ضميري كقطرة في بحار

١٦٢

في الطائرة^{٤٧}

قد ركبنا الرياح فوق سحاب وشققنا الفضاء جنح الظلام
قد بلغنا بالعلم أمرًا عجيبيًا أين منه عجائب الأحلام

١٦٣ ت

بلغ الناس بالعقول وبالعلم سم مكانًا لم ترَّجُه الأوهام
آه لو تصحب العقولَ قلوب فيشيع السلام بين الأنام

١٦٤

وردة الصبح

وردة الصبح! ما الذي بلغ الطل عن الغيب سحرة فابتسمتِ؟
والنسيم الذي أسر حديثًا ما الذي بثه إليك فهمتِ؟

المثاني

١٦٥ ت

أيتها الورد هل تيقظت إذ مر شعاع من الصباح منير
أم رأيت الحياة يقظة ساع^{٤٨} وحمك المنامَ عمر قصير

١٦٦

في ضوء القمر

أضياء يهب في الجو رَوْحًا أم نسيم به الفضاء يُضَاء
مزج الحب والجمال بنفسي مثل ما خالط النسيم الضياء

١٦٧

بين البسط والقبض

تارة تغلق المعاني جميعًا فكأن الأكوان جسمي الصغير
ثم تبدو من الضمير معان فإذا الكون قد حواه الضمير

١٦٨

على الشاطئ بعد الغروب

قد تفردتُ حين أدركتُ نفسي هذه الخلوة البعيدة أنسي
لا أبالي ضوضاء موج وريح إن عدتني ضوضاء جن وإنس

المثاني

١٦٩ ت

عندك البحرُ ضجَّةٌ وزخيرُ وهو في حُطْبَةٍ يعيها الخبيرُ
وترى الموج ثورةً وهياجًا وهو في صفحة الزمان سطور

١٧٠

إن في ضجَّةِ النهار حجابًا ولدى الليلِ غفلة النُّومان
نحن يقظى وكلُّ سرٍّ خفيُّ ونيامٌ إذا تلوح المعاني

١٧١

على الشاطئ

قال لي البحر: كم تلبَّنت عني! حبستك الديارُ عن أفاقي
أنت نعم النجي، تسمع مني وتلقَى الأسرار من أعماقي

١٧٢

في القمراء

أسمع الهمس في سنا الأزهار ثم نجوى النسيم والأشجار
ثم أصغي إليه لحنًا جهيرًا هام فيه مغرد الأطيار^{٤٩}

المثاني

١٧٣

الطير والزهر

قلت للطائر المغرد: مهلاً ما نواح بسحرة وبكور؟
قال: دعني فلست أملك صمتاً أنا أتلو سطور هذي الزهور^٥

١٧٤ ت

قلت للروض بين طير وزهر: هذه الطير قارئات الزهور؟
قال: كلا بل الزهور سطور من أمالي شاديات الطيور^٥

١٧٥

قلت للقلب: كم تَعْبُ ضياءً! مستهماً في هذه القمراء
قال لي القلب: بل يفيض ضيائي فتراه ضياء كل ضياء

١٧٦

مراجعة الشعر

أيها الشعر قد هُجرتَ زماناً شغلتنني عن وحيك الضوضاء
وأرى في هُتافك اليوم شغلاً عن أمور يعافها الحكماء

المثاني

١٧٧ ت

قد تركت الأشعار ثورة حر ثم راجعتها بقلب حكيم
كانت الأمس في السحاب بروقًا وهي اليوم ديمة في نسيم^{٥٢}

١٧٨ ت

إنما الشعر حكمة في البرايا أخذتها النفوس بالتلوين
فهي تحمر من دماء قلوب وهي تبيض من ضياء عيون^{٥٣}

١٧٩

كيف نجاهد في هذه الحياة

نطلب الأمر في رَماع وجدٍّ وإبء وعزة لا تخور
فإذا واتت الأمور، وإلا فغننا عن الأمور كبير

١٨٠ ت

لستُ في العيش زاهدًا غير أنني لا أُذيلُ الأخلاق في تأميله
ليس في العيش مطلب هو أهل أن تُضاع النفوس في تحصيله

المثاني

١٨١

في القمراء

ملاً الأرض والسماء هدوءاً وأفاضت شعاعها القمراء
كل شيء لهدأة وسلام ومن الناس هذه الضوضاء

١٨٢ ت

يملأ الكون وحدة ونظام ولحون يحسها الشعراء
لا يخل الألحان والوزن إلا ضجة الناس ضج منها الفضاء

١٨٣

ميلاد الرسول^{هـ}

قيل: نحیی ميلاد خير رسول ولذكراه في النفوس جلال
قلت: نحیی ألفاظها بكلام وتُتميت المعاني الأفعال

١٨٤ ت

يا رسول السلام والبر والرحمة والعدل والسنا والسناء
إن ذكراك مولدٍ لمعانٍ أبد الدهر ما لها من فناء

المثاني

١٨٥ ت

إن بيني وبين ذكراك عهدًا أن تشيع الضياء في أرجائي
وتصب الغيوث فوق مواتي وتثير الرياض في صحرائي

١٨٦ ت

كلما أظلم الرجاء وحرنا وادلهمت على السفين السبيل
لاح من ذكرك المنير رجاء وضياء وغاية ودليل

١٨٧ ت

ألف داع مضلل ومناد وظلام وَعِثُّيِرٍ ودخان
ويناجي القلوبَ منك ضياء ويشق الضوضاء منك أذان

١٨٨

يمحق الدهر كل عين وشخص ثم يغشى التذکر النسيان
غير أن الإحسان يبقى عليه °° لا يُغَشِّي على سناه الزمان

المثاني

١٨٩

دعاء

رب هب لي على الزمان يقيناً واملأني من اليقين سلاماً
واجعلني على التقى زللاً وعلى الظالم الغوي ضراماً

١٩٠

الهلال^{٥٦}

يا هلاًّ يلوح بعد غياب فيشيع السرور في الأفاق
كم تلاقٍ أجْدُّ بعد فراق وفراقٍ أجْدُّ بعد تلاقٍ!

١٩١

على ساحل البحر حين الغروب

فسحة البحر ملء نفسي وحسي وبعيني أشعة من نكاء
فاملأني يا قدير عيني ونفسي وفؤادي طهارة وضياء

١٩٢ ت

اجعلني كالشمس فيض حياة كل يوم جديدة الإشراق
واجعلني كالنبع صفو زلال كل حين مجدد دفاق

المثاني

١٩٣ ت

أيها الطائر الوحيد على الشط أجبني فأنت مثلي وحيد
إن في الخلوة اجتماعاً لنفس وبها جلوة وفيها شهود

١٩٤ ت

لست أخلو لغفلة وسكون وفرار من الورى وارتياح
إنما خلوتي لفكر وذكر فهي زادي وعُدتي لكفاحي

١٩٥

لا يبالي الأنام من غاب عنهم وهو فيهم على رجاء الإياب^{٥٧}
كيف من غاب لا يُرَجِّي رجوعاً! كيف من غاب تاوياً في التراب!

١٩٦

قيِّدْ فكرك الشروءَ بأمر ذي صلاح ولا تدعه يهيم
لا يطيق السكون طرفة عين ومريء مراده أو وخيم^{٥٨}

المثاني

١٩٧

تهبط الرغبة الدنية بالنفـ س ويسمو بها عظيم الرجاء
فامنحَنُها من العظائم عزماً وجناحاً تجُز عَنان السماء

١٩٨

هلال رجب^{٥٩}

رجب في السند ازدهاه هلال بسناه أضاء مكنون سري
يا جديد الهلال! أنت قديماً فوق بغداد، هجت شوق المعري^{٦٠}

١٩٩

وفاة صديق

راعني في البعاد نعي خليل كان في غمرة الحياة شقيقي
علمتني مصيبة الدهر فيه أن نصف الممات موت الصديق^{٦١}

٢٠٠

على الساحل

قلت للبحر ما ضجيج ولغو دائم؟ قال: فاتك الإلهام
ذاك في مسمع الجهول ضجيج وهو في مسمع الحكيم كلام

المثاني

٢٠١

الشعر

يهبط الشعر نَحلة في رياض أو فراشاً يطوف حول الزهور
إن تكن روضة أتاك وإلا لم تجئك الأشعار بالتدبير

٢٠٢

دعاء

يا ضياء العيون في كل جنح ورجاء القلوب في كل ياس
املاً القلب من رجاء ونور وأهديناً في كل خطب عماس

٢٠٣

أنا بالله في الحياة قويُّ وبه في الخطوب حرُّ أبيُّ
إن أكن عبده بحق فإنني بغناه عن العباد غنيُّ

٢٠٤

يا حبيس البيوت! يومك فيها في حدود الأبواب والأسوار
مطلع الشمس كوة في جدار ولها مغرب وراء جدار^{٦٢}

المثاني

٢٠٥

طهارة الفكر

عن بذيء الكلام يسمو كلامي وأكف الفعال عن كل ذام
كيف بالفكر وهو ومض بروق كيف أسمى به على الآثام؟

٢٠٦

ما مضى من العمر ربح^{٦٣}

لا يهولنك ما مضى من زمان إنه الغنم في جهاد الحياة
ما مضى كسبك المحقق فيها ووطنون من الحياة الآتي

٢٠٧ ت

ليس ما فات من حياتك خسرًا إن ملأت السنين والأياما
قيل لي: قد خسرت خمسين عامًا قلت: كلا ربحت خمسين عامًا

٢٠٨

لا تضق بالمزاح نفسًا ففيه تفرغ النفس من هموم الزمان
ربما تفرغ النفوس إلى الهز لجمامًا يعدها للطعان

المثاني

٢٠٩

لا يبالي الأحرار في هذه الأر ض حدود البقاع والأوطان
ومن الناس من يحرر حتى لا ترى نفسه حدود الزمان

٢١٠

إن للشعر ساعة هو فيها فيض نبع مقهقه بالزلزال
لا ترمه، إن غاض، بالحفر عنه فتصبه بحمأة ورمال

٢١١

الجنايات

شُرطُ لا تني، وقاضٍ وسجن والجنايات كل يوم تزيد
أيها الهانئ الجلود تمهل بَطْنُ الداء والعلاج بعيد

٢١٢ ت

ينبت الشوك ذلك الحقل فانظر كيف تنفي بذوره من ثراه
قاطع الشوك! والتراب وبيء اقطعنه ما شئت ينبت سواه

المثاني

٢١٣

الحق والباطل والصلاح والفساد

يرفع الباطل العقيرة حيناً ثم يفنى صدهاء في الوديان
وترى الحق يخفض الصوت حيناً ثم يعلو مجلجلاً في الزمان

٢١٤ ت

ذَكَرُ المصلحين في الناس تبقى كنجوم تنير في الظلمات
ولأهل الفساد هَبْوةٌ يوم ثم يفنى الإعصار في الفلوات

٢١٥

الأحرار والعبيد

تجد الحُرَّ رقةً وصفاءً وُزْلاً يُسيغه الإخوان
ويُسَام الهوان يوماً فيأبى فإذا الماء مارج ودخان

٢١٦ ت

لا يغرنك فخر قوم تعالوا وادعوا أنهم أكابر صيدُ
هم على هامة الضعيف ملوك وعلى سُدة القوي عبيدُ

المثاني

٢١٧

ذا زمان لفتنة وخداع ضاق فيه مذاهب الأحرار
فالزم النهج واسأل الله هدياً لا تغرّنك دعوة الأغرار

٢١٨

التعليم والتربية

رببوا النشء جهدكم في بيوت في ظلال الآباء والإخوان
ما ازدهار النبات وهو غريب كازدهار النبات في الأوطان

٢١٩ ت

لا تظنوا التعليم درساً وحفظاً هو سقي النفوس ماء الحياة
اجعلوا عينيّ المعلم في النشء ء شعاع الشموس فوق النبات

٢٢٠

الوحش والإنسان

قلت: يا صاحبي أتعرف وحشاً في بني جنسه يواصل فرسه؟^{٦٤}
قال لي: ما علمت في الأرض وحشاً غير هذا الإنسان يفرس جنسه

المثاني

٢٢١ ت

لابصطياد الوحوش بندقُ رمي وبيعض الآلات شقُّ الجبال
ولحرب الإنسان كل سلاح ما وعاه الشيطان يوماً ببال

٢٢٢

إبليس يهجر الأرض



المثاني

قال إبليس: يا بني هلموا نهجر الأرض خيفة الإنسان
هو يصلى بناره وستصلى بلظاه قبائل الشيطان

٢٢٣

الأستاذ الحق

ليس أستاذنا الملقن درسًا ومجبل الأقلام بالتصحيح
هو من يقرئ الزمان ويقفو صفحات الأيام بالتنقيح

٢٢٤

على الشاطئ

قال لي البحر: كم تسير بشطي وتطيل التحديق في مرآتي
قلت: أصغى إلى وعاك وأمضي أخذًا للموات شعر الحياة

٢٢٥

سنن الله في الخلائق تمضي لا تني ساعة وليست تحول
وخلال الأحرار منها، فليست عن جهاد في الحق يومًا تزول

المثاني

٢٢٦

اتقوا الله رُب لفظ غوي يقذف النشء في مهاوي الفناء
أسمعوا النشء كل لفظ أبي يرفع النفس مصعدًا في السماء

٢٢٧

ضيق الألفاظ عن المعاني

رب معنى يأبى على كل لفظ وعلى حكم كل قيد يثور
قد جعلنا الألفاظ فيه رموزًا وتعالى بجوه التفكير^{٦٥}

٢٢٨

نُطقه الذكرُ، والسكوت لفكر ومجال العينين في الإعتبار^{٦٦}
ذلكم في الحياة أعلى مقام نافسوا فيه يا أولي الأبصار

٢٢٩

حرية وعبودية

هو حر يجل عن كل قيد من تراث الآباء والأجداد
فإذا جاءه من الغرب قيد فهو عبد يتيه بالأصفاذ

المثاني

٢٣٠

فلك دائرٌ وصبحٌ ومُسيٌّ أخذ الناس في الزمان دوار
حرر النفس من نهارٍ وليلٍ تجد الدهر ما به تكرار

٢٣١

عش غراب^{٦٧}

رقص العُشُّ في غصون ضعافٍ في مهب الرياح، فرخى غراب
أبيّ بانٍ بنى فأحكم عُشًّا ثابت الأُسُّ فوق ذا الاضطراب!

٢٣٢ ت

طار عن عشه وفرخيه خوفًا قد عراه من اقترابي ارتياب
جرَّب الناسَ فاستراب بقربي لستُ منهم فلا تَخَفُ يا غراب

٢٣٣ ت

لغراب يزق فرخيه جهدًا^{٦٨} قلت: أنى الطعام للغربان؟
قال: أنى وأين ريبٌ وعجز ما لدنيا وساوس الإنسان^{٦٩}

المثاني

٢٣٤

إن هذي القلوب تهدي لخير كل حين ولا تَبَاعِدُ منه
إبر المغنطيس للقطب تهدي أبد الدهر لا تَحَوَّلُ عنه

٢٣٥

من أذلته حاجة في معاش هو أولى برحمتي من ملامي
المليم الذي يواتيه قوت ثم يهفو إلى ذليل الطعام

٢٣٦

على شاطئ البحر

قال لي البحر: ما يروقك مني؟ كل يوم تجول في شطآنني
قلت: وُسع المدى وغور بعيد وجهاد على مرور الزمان

٢٣٧ ت

قلت للبحر: ما تضمن بحر من حياة وقيعة وجبال؟
قال لي البحر: ما تضمن فكر واسع من حقيقة وخيال؟

المثاني

٢٣٨

الحياة والطبيعة

يا حبيبًا بالدور خدن كتاب قارئًا من مقال كل عليم!
ابرزن للحياة واقراً سطورًا ماثلات لعين كل حكيم

٢٣٩ ت

يا أسير الظلال خلف جدار شاحب اللون مثقلًا بالهموم
ابرزن للرياح والشمس وامرح وتفتّح تفتّح البرعوم

٢٤٠

امض في العيش لا تعدّ أسيفًا ما مضى في الحياة من أعوام
لا تبُل أن يكون يومك جزءًا من قليل السنين أو ألف عام

٢٤١

عاد من سفرة فقير مُقل حاملاً للصحاب شتى الهدايا
كم كثير قد قللته خلال وقليل قد كثرته السجايا!

المثاني

٢٤٢

على شاطئ البحر

أنا والبحر والفضاء وهمي أبحر بعضها لبعض نجي
بيننا في الحديث أخذ ورد ويخال الصباح أني خلي

٢٤٣ ت

تسكن النفس حين أوي إلى البحر سر وأفضي إليه بالأسرار
أسلام البحار يدخل قلبي أم همومي تسيل نحو البحار؟

٢٤٤

قلت للطائر المغرد ليلاً: لا تغرد فذاك وقت سُباتٍ
قال لي: يا جهول! إن حياتي لا أراها أسيرة الأوقات^{٧١}

٢٤٥

قالت النفس: قد علمت كثيراً قلت: هذا الكثير نزر يسير
تملاً الكوز غرقةً من محيط فيرى أنه المحيط الكبير

المثاني

٢٤٦

تبسط النفس في فسيح البراري وهي بحر على شطوط البحار
وأراها تضيق في ظل حبس بين سقف وكوة وجدار

٢٤٧

لست أخلو لراحة وسكون وفرار من الأنام بنفسي
أنا أخلو لأهبة ومحال آخذًا للجهاد سيفي وتُرسی

٢٤٨

الطير والإنسان

أكبر الظن أن طير السماء بَرِمَاتُ بهذه الضوضاء
تُهرع الطير للعشاش مساء وضجيج الإنسان بعد المساء

٢٤٩

قتل إبليس

قال لي صاحب: سأقتل إبليـس وأكفي وساوس الشيطان
قلت: أرجئ قتال إبليس لكن أفرغ النفس من وساوس الإنسان

المثاني

٢٥٠

كل شيء يقظان حاشا الإنسان

غردت في صباحها الأطييار فأصاحت عيونها الأزهار
أيها النائم الصباح تنبه قد دعتك الأزهار والأطييار

٢٥١ ت

ذرت الشمس في ذرى الأكوان وسرت في النبات والحيوان
كل شيء أراه يقظان لكن أفسد النظم غفلة الإنسان

٢٥٢

اسعين مصليًا ولا تأل جهدًا وارقبن في العباد رب العباد
ثم لا تبتئس بخيبة سعي أو بما يفتريه أهل الفساد

٢٥٣

لست أبى توفير مالي لدهري بانلًا منه في رخاء وبأس
إن يكن في يدي، وليس بقلبي وهو ملكي، وليس يملك نفسي

المثاني

٢٥٤

ما على الناس لو أرادوا صلاحًا وسعوا في البلاد بالعمران
وتواصوا بكل حق وبر وتأخوا على صروف الزمان!

٢٥٥

الحرية

حد حرية الجماعة حتى يحكم الفرد في هواه القيودا
إن حرية الجماعة فوضى حين يعدو الآحادُ فيها الحدودا

٢٥٦ ت

قيد الحر نفسه برضاه وأبى في الحياة قيد سواه
وترى العبد راضيًا كل قيد غير تقييد نفسه عن هواه

٢٥٧

صلة الإنسان بالإنسان

قد عُنيْنَا بالناس حتى سألنا كيف حال الأدنى وكيف البعيد؟
وعنانا الذي مضى من قرون وعنانا من بعد جيل جديد

المثاني

٢٥٨ ت

نحن ركب الحياة، جيلاً فجيلاً وصلتنا الخطوب والأزمان
ما سرت في حداثنا «أنا وحدي» أو سرت فيه «بعدي الطوفان»^{٧٢}

٢٥٩ ت

نحن في ذي الحياة ركب سفار يصل اللاحقين بالماضينا
قد هدانا السبيل من سبقونا وعلينا هداية الآتينا

٢٦٠

النعمة والألحان

قيل لي: أفتنا فهذا إمام ذو تقاة يهيم بالنعمة
قلت: بعض اللحن عندي أذان تملأ النفس دعوة للصلاة

١٦١ ت

إن بعض اللحن برد نسيم ينضح النفس في حرور الحياة
وهي في مهمه الحياة كنبع لظماء يثر في الفلوات

المثاني

٢٦٢

أشعل النفس بالرجاء وأقدم دركًا لا تبأله أو فواتا
كدت من نشوة الحياة أرجي أن أوقي مشيبتها والمماتا

٢٦٣

أبصرن في الظلام بسمة فجر وضيء الإيسار في كل عسر
كم ترى في الضحى شعاع ظلام وتخاف الإعسار في كل يسر؟

٢٦٤

قلت للشعر: ما نأى بك عني؟ قد أطلت المغيب عن أجوائي
قال: ما غاب عن ذراك شعاعي اصقل النفس ثم قابل ضيائي

٢٦٥

في مدينة الكويت من بلوخرستان

قال لي طائر: نسجتُ نشيدي من نسيم وظلمة وضيء
قلت: لكنني نسجتُ نشيدي من رجاء وبسمة وبكاء^{٧٢}

المثاني

٢٦٦ ت

زجرت كلبها وقد ذاق روثًا ودعته للعتب والتدليل
وإلى الروث راغ من بعد لأبي هازنًا بالعناق والتقبيل^{٧٤}

٢٦٧ ت

قلت للسفر: ما صحبت كتابًا قيل: فاقراً فكل هذا كتاب
أقرأن في الطريق سطرًا فسطرًا عجزت عن مثيله الكُتاب

٢٦٨

في الطريق من كويتة في بلوخرستان إلى يعقوب آباد في السند

رام قوم من التماثيل خلدًا لم ترشح فعالهم لخلود
وحبت أهلها الخلود فعال دون شكل ممثل مشهود

٢٦٩ ت

قال لي صاحب: طريق بعيد وأرى غاية تفوت المسيرا
قلت إنني أقيس ما قد قطعنا قد بعدنا، فقد قربنا، كثيرا

المثاني

٢٧٠ ت

قلت للصحب والمرام بعيد: أبعد الله من يهاب البعيدا
إنما البعد في العزائم لا الأر ض، تزود للبعد عزماً شديدا

٢٧١ ت

قلت للمطرب الحماسي مرحى! أشعلن اللحن. تفديك نفسي
اجمع الحب والسيوف فقداً رام لثم السيوف شاعر عبس^{٧٥}

٢٧٢ ت

اشفني باللحن تنفث ناراً إن في النعمة الذليلة دائي
اجعل اللحن قوة ومضاء كصليل السيوف في الهيجاء

٢٧٣

على بحر العرب وفي الطريق إليه^{٧٦}

ذكرني إذا نسيت وغني نغمات تهيج الشوق مني
وتبث الشرار بين خمودي وتزيل الظلام والريب عني

المثاني

٢٧٤ ت

يسمع القلب كل حين نداء من وراء الأسماع والأفهام:
أفن فيك الأيام لا تفن فيها إنما منك دورة الأيام

٢٧٥ ت

قلت للقرم وهو يطوي هجيرًا في هدير وعزمة وهيام:
ما وراء المسير؟ قال: مسير إنما عيشنا لسير دوام

٢٧٦ ت

لهدير البحار تصغي نجوم في ضياء على البحار منير
هل أطلت هذي الكواكب يومًا لا ترى الوجه في مرايا البحور^{٧٧}

٢٧٧

أمل دائب وسعي دوام ووميض الأفكار، معنى الحياة
يقظة العين للسبات ولكن يقظة العمر ما لها من سبات^{٧٨}

هوامش

- (١) كل رباعية فيها ذكر البحر من هذه الرباعيات أنشئت على شاطئ بحر العرب في كراچي أو قريباً منها.
- (٢) الخطاب للخلاق جل وعلا.
- (٣) كل الرباعيات من البحر الخفيف إلا هذه الرباعية والتي بعدها نظمتها في الرمل ولم أغيرهما.
- (٤) إنما يكمل التوحيد بالنفي التام والإيجاب فهما كالقطين السالب والموجب في الكهرباء لا تكون بدونهما.
- (٥) يكتئب الإنسان حيناً غير عالم سبباً ظاهر للاكتئاب.
- (٦) لا يكذب.
- (٧) للشعر بواعث بعيدة وقريبة وظاهرة وخفية لا يحيط بها الشاعر.
- (٨) الحسن يؤثر في النفس، وبالنفس يقوم الحسن.
- (٩) إن خالف الإنسان الناس وهو على يقين من رأيه وعمله فهو في عالمه ليس غريباً وهم غرباء عنه.
- (١٠) كتبت في ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ/سبتمبر ١٩٥٣م.
- (١١) في القرآن الكريم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.
- (١٢) نظام العالم قائم بالتجاذب والانتظام.
- (١٣) مطلع قصيدة البحري.
- (١٤) الحياة فيها جسم وروح وعقل. فلماذا يعنى فيها بالجسوم وحدها؟ إن أردنا الحياة حقاً فعلينا أن نعنى بالثلاثة.
- (١٥) إذا جرح نئب فتكت به أصحابه. وإذا غلب كلب كلباً هجمت الكلاب الأخرى على المغلوب. هذا رأيت مرات. ويقول الشاعر:

فكنت كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يوماً أحال على الدم

(١٦) التحليء: المنع من ورود الماء.

(١٧) رموز اللحون هي علامات الموسيقى. هذه العلامات صور ينطق بها اللحن، وكذلك الشعر ينطق عن الأزهار التي هي للشاعر كعلامات الموسيقى للمطرب.

المثاني

(١٨) النون في بقينا وبلينا نون النسوة مع ألف الإطلاق.
(١٩) الخابط: السائر على غير هدى. وإبر السفين: إبر المغناطيس. وإبرة الضلوع:
القلب.

(٢٠) رأيت زهرات ناضرات في حديقة السفارة في كراچي قبل طلوع الشمس
فألهمتني هذه الأبيات.

(٢١) الشيات: جمع شية. وهو لمعة من اللون بين ألوان أخرى.

(٢٢) مأخوذ من قول جلال الدين الرومي:

خشك جوب و خشك تار و خشك بوست أزكجا مي آيدابن آواز دوست

(٢٣) أهذا الصوت رنين العود أم أنينه وهذا الأنين في صدر العود أم في صدر
العازف الذي حنا على العود؟

(٢٤) الجمال يوحى الشعر والشعر يحيي الجمال ويقومه.

(٢٥) في الأثر: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق كما ترزق الطير؛
تغدو خماصاً وتروح بطاناً» وتوكل الطير خروجها للرزق واثقة به غير هائبة ما تلقى
في طلبه، لا مكثها في أعشاشها.

(٢٦) يقول المعري:

أبكت تلکم الحمامة أم غنُ نَت على فرع غصنها المياد

(٢٧) تجيش النفس بمعان من الشعر فيسكت عنها حيناً ويعبر عنها حيناً ففي
سكوت الشاعر شعر خفي أحياناً.

(٢٨) السراء بيض السمك: ويقال إن نوعاً من السمك يهاجر إلى البحر الأبيض من
خليج المكسيك فيبيض ثم يرجع، وإن لأنواع من السمك هجرات كهذه.

(٢٩) ينبغي للطائف ألا يلبس مخيطاً محيطاً بجسمه إرخ وإلى هذا الإشارة في «كل
إثم محيط».

(٣٠) قلوب المظلومين وأكبادهم. وفي الكلام تورية بالقلوب والأكباد التي تؤكل.

(٣١) الشمس ظاهرة كل حين، ولكن جهات الأرض تحتجب عنها وتظهر لها.

وكذلك حقائق هذا العالم بينة في نفسها، ولكننا ندركها حيناً ونجهلها حيناً.

المثاني

- (٣٢) أبو العلاء المعري. والبيت الثاني من اللزوميات.
(٣٣) رأيت في حديقة فراشاً يطير حول زهر وفوق ماء فكتبت هذه الأبيات.
(٣٤) شهدت حفلاً للمولد في دار أحد الكبراء في كراچي (١٢ ربيع ١٣٧١)
والقوالون يغنون بمدح الرسول ويصفقون ويطلبون.
(٣٥) رأيت باقة زهر وأنا في مدينة سلهت في أقصى باكستان الشرقية فلمستها فإذا
هي ورق مصنوع فنظمت هذه الأبيات.
(٣٦) رأيت قبرين عليهما قبة في حديقة الحاكم بمدينة داكا فسألت عنهما فلم
يعرف أحد صاحبيهما، فكتبت الرباعيتين.
(٣٧) هذا نقض لقول المعري:

إن دنياك من نهار وليل وهي في ذاك حية عرما

(٣٨) خافق ملهم: القلب.

(٣٩) ترجمة بيتين لحافظ الشيرازي:

مرا مكوى كه خاموش باش ودم دركش كه درچمن نتوان يافت مرغرا خاموش
أكر نشان تو جويم كدام صبر وقرار أكر حديث تو كويم كدام طاقت وهوش

(٤٠) الحياة سير، ونحن نسير فيها بأجسامنا. وأفكارنا تسير أيضاً.

(٤١) كلما خفقت الريح حسبتها أمها وأباها.

(٤٢) يصيد الإنسان الطير لاهياً غير مفكر فيما وراءها من أفراخ.

(٤٣) الساع: جمع ساعة.

(٤٤) طائر أسود يسمى الكويل صاح حين الظهيرة في رمضان وأنا أحاول النوم

فنظمت هذه الرباعية.

(٤٥) المتأمل يكاد يسمع تسبيح كل شيء وبحسب النجوم ناظرة إليه فلا يجد

الخلوة.

(٤٦) الناظر في ألحان الموسيقى يتصور الأصوات التي تدل عليها فكأنه يسمع

ضجيجاً من هذه الرموز.

(٤٧) نظمت في طائرة بين بغداد وكراچي في ١٢ تموز ١٩٥٣ م.

المثاني

- (٤٨) جمع ساعة.
- (٤٩) جمال الأزهار يتحدث إلى الناظر إليها دون صوت. ثم يسمع صوتاً خفياً في حفيف الشجر ثم يجهر الصوت في تغريد الطير. وكل أولئك ألحان متصلة.
- (٥٠) الزهور كرموز الموسيقى يفصح عنها الطائر المغرد.
- (٥١) تخيل الشاعر في البيتين قبل هذين أن الطير تقرأ سطور الأزهار وفي هذين يسأل عن هذا فتقول الروضة إن الطير ليست قارئة ولكن تملي فأصواتها تكتب رموزاً فإذا هي الزهر. تناسق بين الزهر وتغريد الطير يتردد المتأمل فيه، هل الطيور تقرأ رموزاً مكتوبة أو تملي ألحاناً تظهر في صورة الأزهار.
- (٥٢) الديمة المطر الدائم تسكن الريح فيستمر.
- (٥٣) كل حقيقة في العالم تصلح للشعر إن مستها العاطفة أو صورها الخيال.
- (٥٤) سنة ١٣٧٣هـ.
- (٥٥) على الدهر.
- (٥٦) ربيع الثاني سنة ١٣٧٣.
- (٥٧) الفكر لا يفرغ فإن لم يشغل بالصالحات شغلته السيئات.
- (٥٨) نظمت هذه الرباعية في مصر حين توفي فريد وجدي رحمه الله وشيعت جنازته. فلم أر كثيراً من الناس كما كنت أرجو.
- (٥٩) سنة ١٣٧٣هـ.
- (٦٠) يقول المعري من قصيدة أنشأها ببغداد مطلعها:

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهناً ما لهن وما لي
دعا رجب جيش الغرام فأقبلت رجال ترود الهم إثر رجال

- (٦١) كتبت حين جاءني نعي الصديق حمزة طاهر رحمه الله.
- (٦٢) هذه دعوة إلى الخروج من ضيق الحضر إلى فسحة الطبيعة. وقد كررتها في الشوارد والنفحات، والمعنى أن الذي يلزم الدور يضيق عليه الكون فتطلع الشمس عليه من كوة ثم يحجبها عنه جدار فتغرب عنه.
- (٦٣) ما مضى من عمر الإنسان هو ما كسبه من الزمان وحقق فيه آماله. فهو مائل لديه، وهو حقيقة حياته، إن كان قد جاهد فيه جهاد الأحرار، وكتب صفحات رائعات. وهذا خلاف ما يقال إن الماضي لا وجود له وإنما الوجود للمستقبل.

المثاني

- (٦٤) الفرس: الافتراس.
- (٦٥) بعض المعاني لا تمكن الإبانة عنها بالألفاظ فهي رموز يدخل منها الفكر إلى آفاق المعاني الواسعة.
- (٦٦) جاء في حديث نبوي: «وأمرت أن يكون نطقي ذكراً وصمتي فكراً ونظري عبرة.»
- (٦٧) رأيت في كراچي عش غراب على شجرة قريبة من مسكني وهو بين غصون ضعاف في ذروة الشجرة لا يكاد يسكن ساعة.
- (٦٨) زق الطائر فرخه: أخرج ما في حوصلته فرضعه في فم الفرخ.
- (٦٩) الطير تطلب رزقها واثقة به عازمة عليه لا يصدها عنه شيء فلا تقول أين الرزق وأنى أجد الرزق.
- (٧٠) رأيت خادماً راتبه قليل عاد من سفر يقدم إلينا هدايا من بلده. فالضيق والسعة في الخلق لا في اليد.
- (٧١) الحياة القوية الحرة لا تقيدها الأوقات، ولا يأسرها حكم الزمان والمكان.
- (٧٢) الحياة مستمرة والأجيال متلاحقة. فليس لواحد في ركب الحياة أن يعنى بنفسه وحدها دون السائرين معه، ولا لهذا الركب أن يقول لا أبالي بمن يأتي بعدي.
- (٧٣) هذا فرق ما بين الطير التي تسائر الطبيعة بغرائزها، والإنسان الذي له عقل وعاطفة وأماني.
- (٧٤) أضحكني، وأنا أشهد لعب الكرة والصولجان في كويتة، منظر كلب أسود يتدوق روثاً وصاحبه يزجرانه ويناديانه فلا يبالي. ثم حملته صاحبه تنثر الروث من فمه ولبث حيناً تدلله في حجرها وتمسحه وتلومه. وانتهاز غفلة منها فجرى يملأ فمه من الروث واتبعه صاحبه يحمله في خجل ويخرج ما في فمه. ذلكم فرق ما بين الطبع والتطبع.
- (٧٥) إشارة إلى قول عنتره العبسي:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

- (٧٦) نظم هذان البيتان وما بعدهما يوم الأحد ١٨ صفر سنة ١٣٧٤هـ/ ١٧ أكتوبر ١٩٥٤، وبهما أختم هذه المثاني.
- (٧٧) هل كانت النجوم قبل البحور فنظرت فلم تر وجهها في الماء؟

المثاني

(٧٨) يقظة العمر: حياة الإنسان كأنها استيقاظ من العدم. وهذه لا يدركها النوم ما دام الإنسان حيًّا، فليحذر الإنسان أن يجعل هذه اليقظة نومًا.